العمـــل الخيـــري الإسلامـــي
بيـــن التأصيـــل وإمكـــانات التفعيـــل

إعــداد

الدكتورة: فاتحة فاضل العبدلاوي

الرباط - المملكة المغربية

بحثٌ مقدَّمٌ إلى

« مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث »

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

توطئـــة

إن المثـل العليا والأعمال الفاضلة متشـعبة الجوانب، مختلفة الأهداف والغايات الإنسـانية النبيلة، وربما كان أرفعها مقاما: حب الخير وكل السبل المؤدية إليه...

والعمل الخيري يعتبر من أهم هذه الأعمال التي تقدمها الأمة المسـلمة إلى الإنسانية جمعاء، وهـي أجـل مظاهر حضارتها، ودليـل رقيها الفكري، حقيق بأمتنا أن تفخـر بها لأنها من أركان وأسس حضارتنا في إشاعة ثقافة التضامن والتكافل...

والمتتبع لمسـيرة العمـل الخيري بمفهومه الواسـع يقف معجبا بالدور المهم في الإسـهام في صناعة الحضارة الإسلامية والنهضة الشاملة للأمة...

وحتى لا نغوص في الكلام المجرد..ونكون ممن يحسـن التفكير والتدبر في اسـتثمار مواطن القوة من تاريخ وحاضر الأمة الإسلامية المشرق و محاولة تأصيلها وتفعيلها، تأتي هذه المداخلة مشـاركة وإسـهاما في مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث العمل الخـيري ريادة ونماء بعنوان: العمـل الخـيري بـين التأصيل وإمكانـات التفعيل، والـذي تنظمه موفقـة بإذن الله تعـالى دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي العامرة.

واختيـاري لموضـوع المداخلة أملتـه تصورات ذاتيـة لإظهار الوجه الحضاري والإنسـاني للعمـل الخيري انطلاقا من أهداف المؤتمر ومحاوره، وكذا تأصيله وتأريخه وإبراز مواطن تفعيله انطلاقا من شعار المؤتمر: الريادة =التأصيل ، النماء=التفعيل..

١ـ سيرة ومسيرة العمل الخيري:

إن من الخصائص المميزة للمجتمع المسلم- المتفقه في دينه- أنه مجتمع متكافل، و التكافل قبل كل شيء هو إحساس داخلي يعيش في نفس الفرد، يستشعر به أن عليه واجبات تجاه المجتمع...

وديننا الإسلامي، هو الدين الموصوف بالشمول والكمال، الشمول الذي يساير متطلبات الفرد وحاجات الأمة، ويحقق العزة والكرامة للمسلمين في الدنيا والآخرة، دين الحق، جاء بكل ما يحقق عرى التواصل بين المسلمين، ويقوي التكافل بين المؤمنين، والتعايش بين الناس جميعا يضم كل سبل الخير، ويشمل جميع أنواع البر: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة الآية٢].

والإسلام قرر مبادئ توجيه سلوك الأفراد نحو المسار الصحيح ومن تلك المبادئ إقراره مبدأ التكافل[١] الاجتماعي بين الفرد وأسرته، و بين الفرد والجماعة و بين الجيل والأجيال وبين المسلم وغير المسلم «المسالم» فمبدأ التكافل يجعل كل فرد مكلف بأن يرعى مصالح الجماعة، والتعاون بين مجتمع الأفراد واجب لمصلحة الجماعة في حدود البر والمعروف. وبهذا يكون الإسلام قد وضع اديولوجية جديدة متطورة للرعاية الاجتماعية هي مفهوم التكافل الاجتماعي[٢]. قائما على اعتباره واجبا شرعيا، وضرورة اجتماعية تقع على عاتق جميع أفراد المجتمع، ليحدث بذلك القدر اللازم من التوازن الوازن الذي يحفظ البناء الاجتماعي والمجتمعي سليما[٣] ومتكاملا. وهنا يعتبر العمل الخيري تدعيما وترجمة حقيقية لإحداث التكافل الاجتماعي...

---

(١) الخدمة الاجتماعية أصالة و معاصرة لمصطفى عبد العظيم الفرماوي وآخرين، طبعة دار الحكيم، القاهرة، ١٩٩٧، ص: ١٥ (بتصرف)

(٢) الخدمة الاجتماعية المعاصرة لعبد الحكيم رضا عبد العال دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٦-ص ٢٠٨.

(٣) مقال للأستاذ عبد الله اليوسف» التكافل الاجتماعي ودورة في دعم الأمن في مجال المفرج عنهم «أعمال مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي»، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية. ص ٢٠٠٠.

والتكافـل في أسـمى صـوره والتعاون في أوضـح معانيه يتجلى في رعايـة الفئات المحتاجة والعمل الخيري في كل ما ينفع الأمة في الحال والمآل...

والإحسـان في الإسـلام واسـع المجالات متعدد الطرق، متنوع المسـالك، يقول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾. وللـبر والإحسـان في الإسـلام صور توضـح كثيراً مـن جوانب التكافـل، وتعالـج أنواعا من حاجـات المجتمع واحتياجاته، وتـبرز ما للمال من وظيفة اجتماعية تحقق الحياة الكريمة، وتدفع وطـأة الحاجـة لينعم المجتمع كله بنعمة الأخوة الرحيمة والأسـوة الكريمـة... في هذه الصور يجد المحتاج العاجز في المجتمع من يشـاطره آلامه ويفرج عنه كرباته وأحزانه... ذلك ما يسمى بالعمل الخيري أو التبرعات وهي تضم الأوقاف والصدقات والوصايا والقروض والكفالات والهبات والعواري والإرفاقات وغيرها من أعمال الخير والبر وتفريج الكربات...

والمقصود بالعمل الخيري ذلك النشـاط الاجتماعي والاقتصادي الذي يقوم به الأفراد أو الممثلـون في الهيئـات والمؤسسـات والتجمعـات الأهلية ذات النفـع العام، بهـدف التقليل من حجـم المشـكلات، والإسـهام في حلهـا بالمال أو بالجهـد أو بالفكـر.. والمتتبع لتاريخ ومسـيرة العمل الخيري يلاحظ أنه نشـأ بنشـأة الإنسـان ، فقد ظهر في كل مجتمع إنسـاني، وفي كل مكان نشـأت فيـه حضارة من الحضارات أو رسـالة من الرسـالات ، والعمل الخـيري تطور ويتطور بتطور المجتمعات الإنسانية... وهذه إشارة للعمل الخيري في بعض الحضارات والرسالات:

١ـ العمل الخيري في الحضارة الفرعونية عند «قدماء المصريين»:

تـبرز بعض الرسـوم والصـور المبثوثة على جـدران معابـد قدماء المصريـين وقبورهم على وجـود بصـمات العمل الخـيري والتطوعي عندهم، والذي يتمثل في مسـاعدة الفقـراء... وقد

كانـت المعابـد تتلقـى المسـاعدات والتبرعات مـن محاصيـل الأرض ومنتجات الماشـية، وكان يتكلف الكهنة بتوزيعها.

٢ـ العمل الخيري عند الإغريق :

لقـد كان اهتـمام أغنيـاء اليونانـين القدامى موجهـا لرعاية أبناء السـبيل، وتوفـير الطعام والمـأوى للغرباء، و تقديم المسـاعدات للمحتاجين، وكما تثبت المصنفات التاريخية والفلسـفية أن خزينة الدولة اليونانية كانت هي نفسها تقوم بالرعاية الاجتماعية...

٣ـ العمل الخيري عند الرومان:

إن تاريـخ الرومـان وضـح لنـا أن مجتمعهـم انقسـم إلى أشراف وعامـة، وأن الطبقيـة الاجتماعيـة آنـذاك، ولـدت فـوارق واضحـة ، إلا أن نضـال «العامـة» حقـق بعض المسـاواة، والمتفحـص لتاريخهـم يـرى أن الدولـة الرومانية اهتمت بالعمـل الخيري التطوعـي والإغاثي المتمثل عند طبقة النبلاء التي كانت تساعد الفقراء خصوصا عندما يشتد القحط والجفاف..

٤ـ العمل الخيري عند العرب قبل الإسلام:

الـكل يعلـم أن العرب في جاهليتهم اتصفـوا بخصال حميدة ومحمودة متعـددة، منها إغاثة الملهـوف و مسـاعدة المحتاج، ونـصرة المظلوم وغيرها من الصفـات... وحلف الفضول الذي عقده بعض عشائر قريش لنصرة المظلوم خير دليل وأنصع صورة على العمل الخيري التطوعي في ذلك العصر، فقد اتفق المؤتمرون على أن لا يجدوا بمكـة مظلوما من سائر الناس إلا نصروه حتـى تـرد مظلمته.. وحـضر هذا الحلف الرسـول صلى الله عليه وسـلم، وقال عنـه بعد ظهور الإسلام: « لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي حمر النعم، ولو دعيت في الإسلام لأجبت ».

٥ـ العمل الخيري عند أصحاب الرسالات السماوية:

سبق القول أن العمل الخيري والتكافل الاجتماعي وجدا مع وجود الإنسان... إلا أن هذا العمل اتخذ طريقه الواضح عند نزول الشرائع السماوية، فقد دعت الشرائع السماوية الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام إلى العمل الخيري في المجال الاجتماعي وهذه بعض الإشارات والملامح للتدليل على ذلك:

أ- العمل الخيري عند اليهود (اليهودية) :

إن نصوص العهد القديم توضح بعض الأعمال الخيرية، والرعاية الاجتماعية، والدليل على ذلك «الوصايا العشر» التي نزلت على نبي الله موسى عليه السلام ومنها على سبيل التمثيل :

- طوبى لمن ينظر للمساكين في يوم الشر ينجيه الرب .
- افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك .
- من يرحم الفقير يقرض الرب، وعن معروفه يجازيه.
- من الضروري تقديم يد العون والمساعدة للفقير والمسكين والمضطر، لا ينهر الفقير ولا يحقر المسكين.. إلخ..

ب - العمل الخيري عند النصارى (النصرانية):

جاء في العهد الجديد «الإنجيل» بعض النصوص التي تبرز الأصول الأولى للرعاية الإجتماعية والعمل الخيري ومنها:

- من سألك أعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .
- الله سبحانه وتعالى يكافئ من يشبع الفقير.

- بالصدقة يقبل الصوم، ومعها تقبل الصلاة .
- كل أنواع الهبات مرغوب فيها..

وقد اهتم النصارى عبر التاريخ بالعمل الخيري المتمثل في رعاية الأيتام والأرامل وإنشاء الملاجئ ... ولا زال أثر ذلك حتى اليوم -وبخلفيات متعددة واضحة للعيان.

والعمل الخيري والتطوعي عند الآخر (الغرب) انطلق من دوافع كما هو واضح دينية عقدية، إلا أنه نظرا لتحولاتهم الاجتماعية غاب المنحى الديني في العمل الخيري في الغرب فترات طويلة.. ولكن بدأت المناداة مؤخرا، بالعودة للدين في الخدمة الاجتماعية، أي بدأت المطالبة بالاهتمام بالجوانب الروحية في الخدمات الاجتماعية والمجتمعية، وسأذكر بعض الدراسات والمقالات المعاصرة التي تطرقت للموضوع وطالبت بضرورة اعتبار المنحى الديني في العمل الخيري والاجتماعي..

٦ـ المنحى الديني في العمل الخيري والاجتماعي:

• عام ١٩٢٥م تناولت مجلة خدمة الفرد SOCIAL CACEWORK مقالا للباحثة الاجتماعية لوسيل كروبيت LUCILLE GORBETT بعنوان : العوامل [(1)] الروحية في خدمة الفرد أشارت فيه إلى الصراع القائم بين الدين والاتجاه العلماني، مؤكدة على أهمية العوامل الروحية. والمقال تناول مقارنة بين تعريف الروح كمبدأ للحياة والنشاط الحيوي، وبين تعريف خدمة الفرد كعملية تهدف إلى تنمية الشخصية، من خلال إحداث التكليف بين الفرد والبيئة الاجتماعية، وتوصلت صاحبة المقال إلى نتيجة مؤداها أن خدمة الفرد الحقيقية تتسم بالروحانية لأن الروح في نظرها هي جوهر خدمة الفرد ومادتها الخام...

(1) - LUCILLE GORBETT humanistic values and social casework VOL .1.N°5 (35-42)

• عـام ١٩٥٦م قدمت الباحثة الاجتماعية سـو سـبنسر sue spencer[1] مقالين الأول بعنـوان: الديـن والخدمـة الاجتماعيـة حاولـت أن تقـرب فيه بين وجهـات نظر رجـال الدين والمتخصصـين في الخدمـة المجتمعيـة، و أشـارت إلى الصعوبات التي تواجـه العمل الخيري المجتمعي بسـبب اختلاف التنشـئة الاجتماعيـة للأخصائيين الاجتماعيـين، واختلاف ثقافتهم وتعليمهـم، بالإضافـة إلى الاختلافات الكثـيرة الناجمة عن الإيمان بأديـان مختلفة... وختمت المقـال مؤكـدة على أن الحاجـة ملحة لإعطاء اهتمام أكبر للدين باعتباره عاملا مهماً ومؤثرا في حياة الإنسان وفي النظام الاجتماعي...

والمقـال الثـاني: بعنـوان: الأديان والقيم الروحية في ممارسـة خدمـة الفرد خلصت فيه إلى أهمية أخذ المعتقدات الدينية في اعتبار المهتمين بأعمال الرعاية الاجتماعية.

• وفي ١٩٦٠م كتـب ألان كيـت لـوكاس Keith – Lucas , Alain[2] مقـالا بعنـوان: بعـض الملاحظـات عن العقيـدة والخدمة الاجتماعية ناشـد فيه المجتمع المـدني، والأخصائيين الاجتماعيين والمهتمين بالعمل الخيري والإغاثي، بالعودة إلى الاهتمام بالدين والجانب الروحي ونصحهم بالاستفادة بما ورد في علوم العقائد theology عن الشخصية الإنسانية...

• وعـام ١٩٦٢ م كتـب هيربـرت سـتروب herbert stroup[3] مقـالا يحمـل عنوان: التحديـات المشـتركة التي تواجه الدين والخدمات الاجتماعيـة، فنادى بضرورة إعادة العلاقة بـين الديـن والخدمـة الاجتماعية اللذين كان لهما تاريخهما المشـترك لعدة أجيـال، قبل انفصالهما عـلى يد أصحاب الاتجاه العلماني الإنسـاني الذي سـيطر على المجتمـع ، ويرى صاحب المقال، أن هنـاك تحديـات مشـتركة تواجـه الديـن والخدمـات الاجتماعية مبنيـة على عوامـل واقعية،

(1) - spencer , sue (1956) religion ans social work , social work, vol .1,N° 3 (19-28)

(2) -keith –lucas , alain (1969) some notes on theology and socail work , social work 41 (Feb) (87-91)

(3) -stroup Herbert (1962) the common perducament of roligion and social work April , (89-93)

وأخرى نظرية، وانتهى بعد شرح تلك التحديات، إلى أن مصلحة كل من الدين والخدمة الاجتماعية في تقاربها...

- عام ١٩٦٣م كتب تشارلز ليفي levy - charles [١] ضمن مجلة خاصة بالخدمة الاجتماعية اليهودية مقالا بعنوان: الدور المهني للأخصائي الاجتماعي الذي يقدم خدمات للطائفة اليهودية: دراسة تطبيقية، أكد فيه على خصوصية المجتمع اليهودي، وقيمه الدينية المختلفة عن النصرانية، والتي يجب أخذها بعين الاعتبار عند ممارسة العمل التطوعي مع تلك الطائفة...

- عام ١٩٦٧م انتقدت إليزابيت سالمون salamon Elizabetht [٢] بشدة الفلسفة الوضعية ضمن مقال بعنوان: القيم الإنسانية وخدمة الفرد، وأشارت إلى إغفال الخدمات الاجتماعية للجوانب الروحية للإنسان، على الرغم من أنها كانت تأخذ بالأخلاقيات التقليدية للدين اليهودي والمسيحي...

- عام ١٩٦٧ م قدم برنارد كولفلين [٣] couphline bernard مقالا بعنوان: القيم الدينية ورعاية الطفولة مؤكدا على الأهمية القصوى للدين في رعاية الطفولة بعدما انتقد زعماء ناكري الدين أمثال ماركس وفرويد وغيرهما ...

---

(1) - levy charles (1963) the professional role of the social worker in jewish communal services an application of parsons theory of structural organization jewish social work form rol 1 , n° 1 (19-28).

(2) - salamon Elizabetht (1967) humanistic values and social casework, social work csework januery (26-32).

(3) -couphline bernard (1970) religéous valeues and child – welfare. Social casework feb, (82-90).

• كما اهتم مارتن مارتي martin MARTY [1] بإبراز الأرضية التاريخية المشتركة للدين والخدمة الاجتماعية في مقال بعنوان: الخدمات الاجتماعية : مؤمنة أم كافرة؟ فذكر في البداية الأصل الديني للخدمات الاجتماعية الإحسان، تم تطرق إلى ما حدث من نزاع بين العلمانين ورجال الدين في الخدمات الاجتماعية التطوعية، وخلص إلى أن الأسس الدينية لازالت جزءا من الخدمات الاجتماعية وتستحق أن تبقى...

وتوالت بعد ذلك المقالات والأبحاث التي تبحث في الدين وعلاقته بالخدمات الاجتماعية، والأعمال الخيرية الأهلية في الغرب عموما، وبالأخص في الولايات الأمريكية المتحدة وبريطانيا تؤكد على ضرورة الارتباط بين الخدمات الاجتماعية والدين وبين الأعمال الخيرية التطوعية وعلاقتها بالجوانب الروحية...

واعتبارا من الثمانينات، يلاحظ ظهور عدة مؤشرات تدل على زيادة الاهتمام بالدين وبالجوانب الروحية من قبل المتخصصين الغربيين في الخدمات الخيرية والاجتماعية، منها: تزايد عدد المقالات والأبحاث في هذا الموضوع ،وارتفاع مكانة مدارس الخدمة الاجتماعية ذات التوجه الديني المسيحي/ اليهودي وعقد مؤتمرات ولقاءات لمناقشات هذا الموضوع، وأضيفت مقررات دراسية تتعلق بالدين، ومتطلبات إعداد الأخصائيين الاجتماعين، ومن أبرز مكانة هذه الدراسات الاهتمام بالدين والجانب الروحي ، ظهور مجلتين علميتين متخصصتين:

الأولى: مجلة النواحي الروحية والخدمة الاجتماعية

spiriliality and social work journal

الثانية: البيان في النواحي الروحية في الخدمة الاجتماعية

spiriliality and social work communicator

(1) - martin MARTY (1980) social service goldly and goldless – social service review December (463-481)

٢ـ مسيرة العمل الخيري عند المسلمين التأصيل والتفعيل:

الـكل يعلـم أن الإسـلام وسـع دائـرة الأعمال الخيرية ليعـم النفع ويكثـر الخير، فكل الأعمال التي تقدم نفعا للإنسان أو الحيوان انطلاقا من قيم التعاون والمساعدة والبر والتضحية والفداء ابتغاء مرضات الله تعالى فهي في ميزان الحسنات يوم القيامة.

ولـو تأملنـا روح القـرآن الكريـم لأدركنا أن العمـل الخيري بكل تفاصيلـه ودقائقه من أخـلاق القـرآن، وصفة من صفـات أهل الإيمان وفضيلة مـن الفضائل التي أرشـد إليها هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم).

يقـول عـز مـن قائل: ﴿ ولكل وجهة هـو موليها، فاسـتبقوا الخيرات أين مـا تكونوا يأت بكم الله جميعا، إن الله على كل شيء قدير ﴾[1].

ويقـول سـبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْـجُدُوا وَاعْبُـدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾[3].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾[4].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَـبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ** ﴾[5].

(١) سورة البقرة الآية ١٤٨.
(٢) سورة الحج الآية ٧٧.
(٣) سورة المائدة الآية ٢.
(٤) سورة سبأ الآية ٣٩.
(٥) سورة البقرة الآية ٢٦٧.

ويقـول تعـالى :[١] ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا ﴾ .

ويقـول سـبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٢] هذه الآية الكريمة تبرز ثناء الله تعالى على المنفقين من أهل البذل والعطاء والجود والكرم...

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ [٣].

والأحاديث في هذا الباب متعددة نذكر منها ما يلي:

- عـن أبي هريـرة رضي الله عنـه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسـلم قال : « يا ابن آدم انفق ينفـق عليـك »، وقـال: « يمين الله ملأى (قال ابن نمير : ملآنة) سـحاء لا يغيضها شيء الليل والنهار »[٤].

وعـن أبي هريـرة رضي الله عنـه كذلك قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : « من نفـس عـن مؤمـن كربة من كرب الدنيـا، نفس الله عنه كربة من كرب يـوم القيامة، ومن يسر عـلى معـسر يـسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن سـتر مسـلما سـتره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه »[٥].

نعـم لقـد حث النبي صلى الله عليه وسـلم الناس على المعـروف ورغبهم فيه، حيث أنزل أعـمال الخـير منزل الصدقات في الأجر، ولا سـيما في حق من لا يقدر عليه ،عن سـعيد بن أبي

(١) سورة الإنسان الآيتان ٨-٩.

(٢) سورة البقرة ٢٦٣.

(٣) سورة التوبة الآية ١١١.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، الحديث ٣٦، ص ٩٩٣.

(٥) صحيح مسلم الحديث ١٣٩٢.

بردة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسـلم قال: «على كل مسـلم صدقه ، فقالوا يا نبـي الله فمـن لم يجد؟ قال: يعمل بيـده لينفع الناس، ويتصدق، قالوا، فإن لم يجد ؟ قال يعين ذا الحاجـة الملهـوف قالـوا: فـإن لم يجد، قال : فليعمل بالمعروف وليمسـك عـن الشر فإنه له صدقة»[1] .

١ـ العمل الخيري عند السلف الصالح:

لقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عنهم يتسـابقون إلى أعمال الخير والبر والإحسـان، وتركـوا لنـا أثـارا طيبة في هذا المجـال ،ابتغاء مرضاة الله تعالى ورسـوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ومنها:

– كان أبوبكـر الصديـق رضي الله عنـه يزور بيـوت الأيتام والأرامل الذيـن فقدوا آباءهم وأزواجهم واستشهدوا في سبيل الله تعالى فيطهو لهم الطعام. ويساعدهم ...

وعبد الله بن عمر بن الخطاب، كان يقدم ماله للفقراء والمسـاكين .وسـعد بن معاذ سـخر أمواله لخدمة المهاجرين خدمة للإسلام ولنصرة الإسلام...

وعلي كرم الله وجهه المعروف بتضحيته وفدائه وكرمه وبذله...

والصحـابي الجليـل عبد الرحمن بن عوف الذي وهب نصف ماله في غزوة تبوك ونفس الشيء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وغيره من الصحابة ...

وتوالـت أعـمال البر والعطـاء والإغاثـة والتطوع والخير، عـبر تاريخنا المـضيء عن طريق التابعـين وتابعيهـم ، ولم تخل حقبـة زمنية – إلى يومنا هذا – من محسـنين ومتبرعين ومتطوعين لخدمة الدين ونصرته...

(١) فتـح البـاري شرح صحيـح البخـاري لابـن حجر / ج ٣ باب: على كل مسـلم صدقـة، حديث رقم ١٤٤٥ ص ٣٠٧.

٣ـ العمل الخيري والآخر:

نلاحظ أن هناك سعياً حثيثاً، من طرف الدول والمؤسسات والأفراد في شتى أنحاء العالم، إلى تأسيس وتبني نشاطات تُعنى بالإنسان، وتعمل على تكثيف الجهود واستقطاب القادرين والموسرين في دعم سبل الخير، والتخفيف من المعاناة التي تتجرعها الإنسانية، تحت وطأة الحاجة والفقر والمرض والحروب والكوارث الطبيعية والبيئية .. وقد سخرت الكفاءات البشرية والمادية لتكوين قاعدة استراتيجية تُبنى عليها الأعمال التطوعية والخيرية والإغاثية.. وسأشير إلى الدور الإسلامي في هذا المجال:

إن المساعدة الإنسانية تعد من المبادئ الإسلامية التي نادى بها الإسلام، وأمر بها وبتقديمها، ليس للمسلمين فقط، بل للمسلمين وغير المسلمين حتى مع الحيوانات. يقول تعالى: « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا».

والإسلام لا يمنع أن يتعدى نفع المسلم إلى (الآخر)(١) غير المسلم المسالم عند الحاجة، ووفق ضوابط شرعية، وشروط مرعية، ذكرها الفقهاء في مواطنها، انطلاقا من عموم قوله تعالى: ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾(٣).

وكما هو مبثوث في كتب التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل معونات مالية لفقراء قريش في مكة لما بلغه ما وقع بهم من شدة وحاجة ولم يمنعه ذلك أنهم قوم كفار...

---

(١) للاستفادة أكثر في هذا المجال ينظر في أشغال ملتقى الشارقة للوقف الإسلامي والمجتمع الدولي الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف الشارقة – أبريل ٢٠٠٥.

(٢) سور الحج الآية ٧٧.

(٣) سورة الممتحنة الآية ٨.

والمتتبع لتاريخ الحضارة الإسلامية وتاريخ الفقه الإسلامي يلاحظ وجود العمل الخيري التطوعي على غير المسلم المسالم، والنصوص الفقهية في هذا وإن قلت فإنها متوفرة، وتحتاج بطبيعة الحال إلى إعادة تجميع وتبويب ودراسة وتحليل... فكثير من كتب الفقه الإسلامي[١] تناولت القضايا والمسائل المتعلقة بالإحسان للذمي(التصدق، الوقف، الهبة إلخ...).

وقد جاء في شرح مختصر خليل لمحمد عبد الله الخرشي: « وكذلك يصح الوقف على الذمي قريبا كان أو أجنبيا، لأن الوقف عليه صدقة، وفي الصدقة عليه أجر، وكذلك تصح الوصية للدمي، و المراد بالذمي ماعدا الحربي، فيدخل من كان تحت ذمتنا أعم من أن يكون له كتاب أم لا ».

هذا مثل أوردته للدلالة على شرعية العمل الخيري(الوقف، الصدقة، الهبة) للذمي.. وغيره كثير في تراثنا وتجاربنا، وهو يشير إلى أن تلك التحليلات، والفتاوى الفقهية لم تكن لتتناول موضوع الوقف وعلاقته مع أفراد المجتمع غير المسلمين لولا صلة العمل الخيري بتماسك المجتمع، وضمان أمنه الديني وتعايش جميع الملل والنحل داخله...

وأكيد أن الإسهامات المختلفة للعمل الخيري الإسلامي في كافة أبعاده، تحتاج منا اليوم إلى التنقيب والتجميع، ثم الترتيب والتبويب، بشكل علمي موضوعي، حتى نثري «ثقافة العمل الخيري» و نحيي ونجدد فقه العمل الخيري، ولنبرهن على شمولية العمل الخيري، وسعة خدماته التي تضم كافة الجوانب الإنسانية. ولنقف على ما تمتع به نظامه من سعة أفق وبعد نظر وما ضمته قيمه من تسامح ورحمة وعناية استفاد ويستفيد منها كافة المجتمع الدولي...

---

(١) – للتوسع أكثر ينظر في: فتح القدير لكمال الدين بن الهمام/ أحكام أهل الذمة لابن القيم/ البحر الرائق لابن نجيم/ البيان والتحصيل لابن رشد/ شرح مختصر خليل لمحمد عبد الله الخرشي/ النوازل الجديدة للوزاني .. وغيرها ..

ولا شك أن لكل هذا علاقة قوية بالفقه السياسي للدولة الإسلامية ونضج مدارسها الفقهية والثقافية في التعامل مع باقي الثقافات والرسالات مادة ومنهجا وأفاقا . ولا شك كذلك في أن عمق ثقافة الإسلامية وقوة جاذبيتها للأذهان قد ساهم في تجذر ثقافة العمل الخيري بمفهومه الواسع في الوعي الفردي والجماعي، بكافة مكونات وعناصر المجتمع ، على مختلف مللها ونحلها، ودفع غير المسلمين أن يؤسسوا تأثرا بنظام العمل الخيري الإسلامي- خصوصا نظام الوقف الإسلامي السائد - أنظمة مماثلة...

ولا ريب أن تاريخنا يزخر بإسهامات ثقافة العمل الخيري، و أثر نظامه على النشاط المجتمعي -وخاصة على المستوى الأهلي- وإنشائه لشبكة مترابطة وقوية من المشاريع والمبادرات التي وطدت العلاقة بين مختلف أطراف الذات ومكنت من تقوية جوانب التبادل الثقافي والفكري والمعرفي بين الذات والآخر سواء كان هذا الآخر داخل الدار أو ببلاد الجوار.

ولعلنا اليوم في ظل التحولات والتطورات المعاصرة، والمحاولات غير المسؤولة التي تقوم بها جهات مغرضة للنيل من صورة الإسلام النقية الصافية سواء من الداخل أو من الخارج نحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى أن نبرز تلك الجوانب المتوقدة من ثقافة العمل الخيري الإسلامي في العناية بغير المسلم داخل الدار، وإسهاماتها في تعزيز الجوانب العلمية والمعرفية والثقافية مع دول الجوار، وتمتين الروابط الحية مع كافة المجتمعات الإنسانية خارج الديار... فالعمل الخيري مفتوح في وجه الجميع، أيا كانت الملة أو النحلة وفق شروط حددها الفقهاء وأهل التخصص ، كثير منها قابل للتجديد والتطوير والاجتهاد، حسب ما تمليه قاعدة «جلب المصالح ودرء المفاسد»...

ولا ريب أن من التبرعات والأعمال الخيرية ما هو موقوف لتنمية المجتمع، وحفظ أمنه الغذائي والصحي والعلمي والثقافي والاجتماعي والعقدي .. وأن ذلك يشمل المسلم وغيره .. ومنها ما هو موقوف لأداء الأمانة وإبلاغ الرسالة، في كافة أبعادها الحضارية

والإنسانية، لتمتد خارج القطر، للإسهام في خدمة الإنسانية والمشاركة عالميا في منع الفساد ومحاربة الإفساد ...

والآية الكريمة – التي ترددت في هذه المداخلة والتي استند إليها العديد من الفقهاء للدلالة على شرعية العمل الخيري ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[1] تشير إلى المقصد العام من العمل الخيري والمتمثل في فعل الخير كل الخير بكافة أبعاد الزمان والمكان، في الحال والمآل / داخل ديار الإسلام . وفي كافة أنحاء المعمور، فالمقصد الأساس من العمل الخيري فعل الخير، وتفعيل الخير، ونشر الخير وتعميم الخير، « وعولمة » انتشار الخير وثمار الخير...

وأكيد، أن تفعيل دور العمل الخيري الدولي، يحتاج إلى تشجيع المؤسسات الرسمية والأهلية، القائمة على الاهتمام بالأبعاد الدولية للعمل الخيري سواء تعلق الأمر بإدارات الأوقاف، أو مؤسسات العمل الخيري أو منظمات الإغاثة الإنسانية، أو الجمعيات الأهلية التطوعية التي تعنى بإنجاز المشاريع التنموية المتعددة، بفضل صناديق الزكاة والصدقات والتبرعات.. ففي تنميتها، وتوسيع دائرة فعلها، على مستوى عالمي، وتمكينها من أن تنزل بثقلها الحضاري والإنساني في سد حاجيات الناس أيا كانت مللهم ونحلهم ماداموا لم يحاربوا المسلمين في دينهم ولم يخرجوهم من ديارهم..

٤– وفي الختم كانت هذه التوصيات لتفعيل العمل الخيري :

• إن العمل الخيري بكل تجلياته وأبعاده يعتبر أصدق صورة لتصحيح الصورة النمطية التي تروج لها بعض الدوائر في الغرب عن الإسلام والمسلمين...

• لابد للعمل الخيري الإسلامي المعاصر أن يسير وفق التعامل «بالأهداف» بدل الانسياق وراء العمل « بالكوارث » (كما يقول علماء الإدارة) أي لابد من تخطيط محكم،

(١) سورة الحج الآية ٧٧.

ووضع استراتيجيات ومخططات (على المدى :القريب، المتوسط والبعيد ..) لنحقق بذلك «الخيرية»التي وصفنا بها الله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾.

- إذا أردنا الثبات والاستمرارية لمؤسسات العمل الخيري ينبغي أن يكون لها:

أ- نوع من الاستقلالية الإدارية إلى الحد الذي يضمن الإسراع في تطبيق مشاريعها ..

ب- فيما يتعلق بالطاقات والموارد البشرية، فالمجتمع المسلم لا ينقصه الإخلاص لفكرة العمل الخيري وضرورة النهوض به، بل في حاجة إلى التجربة التي تولد الفكرة والخبرة الميدانية، مما يؤكد ضرورة تكثيف اللقاءات والدورات التكوينية والتدريبية، يشارك فيها ويُفعلها كل من يحمل هم إنجاح وتفعيل العمل الخيري...

- ضرورة إشراك المرأة (المهتمة) في كل ما يتعلق بالعمل الخيري :تأصيلا وتأريخا وتفكيرا وتفعيلا وتقريرا وتنفيذا .. « ويكفي المرأة المسلمة فخرا في هذا المجال ذكر أنموذج السيدة الفاضلة فاطمة الفهرية -رحمها الله تعالى- التي أبلت البلاء الحسن في مجال العمل الخيري الوقفي وهي التي أنفقت وأشرفت على بناء أهم معلمة علمية ومعرفية في التاريخ الإنساني، وأول جامعة على وجه الأرض « جامعة القرويين»، وغيرها كثير من نساء السلف والخلف في هذا المجال... ».

- ضرورة تخليق العمل الخيري وإبراز أثره في الوعي لتعزيز الروابط الإنسانية...

- إشراك المؤسسات الفكرية والعلمية والكفاءات الشرعية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية.. في الدفع بعجلة العمل الخيري..

- ضرورة إنشاء مجلس علمي للعمل الخيري للمتابعة والتخطيط والتقويم والتفعيل ...

- تشجيع البحوث العلمية الأكاديمية (بحوث الإجازة، الماجستر، الدكتوراه) للاهتمام والبحث في العمل الخيري وقضاياه الحضارية وغاياته الإنسانية.

• تعميق البحث النظري والعلمي ، وفتح مشاريع دراسات تدفع للكتابة والتأليف في قضايا ومستقبل العمل الخيري، باعتباره مشروع الأمة وصندوقها ..

• من أجل تحصين الذات في مجال العمل الخيري لابد من معرفة «الآخر» فكرا ومنهجا وتخطيطا ...

• تفعيل دور العمل الخيري على مستوى أوسع وإبراز بعده الدولي ..

• الدعوة إلى تطوير وظائف الأعمال الخيرية الإسلامية لدعم ثقافة التعايش والتراحم والسلم والأمن...

• الدعوة إلى قراءة جديدة للعمل الخيري وفق رؤى مقاصدية منفتحة ...

• الدعوة إلى سن سياسة إعلامية هادفة تعيد الاعتبار لقطاع الأعمال الخيرية، وتذكر الرأي العام العالمي بالإنجازات الكبيرة في كثير من المجالات، والقدرة على استمرارية العطاء والبذل لتمويل مشاريع تنموية كبيرة ...

• استحداث بنك معلوماتي خاص بالعمل الخيري من أجل التواصل والتكامل، وإثراء التجارب الإسلامية ...

وأخيراً أقول: عسى الله تعالى أن ينفع الأمة بهذا المؤتمر المبارك، وأن يكون نقلة نوعية في طريق المؤتمرات والملتقيات والندوات العلمية الجادة الواعدة، وخطوة في طريق الاهتمام بالعمل الخيري في كل مجالاته وأبعاده، وأن يحقق بالفعل الريادة والنماء..

وعسى أن تكون مداخلتي – إلى حد ما – تأصيلاً وتقعيداً للعمل الخيري الحيوي، وربطه بالواقع، وبيان مدى الحاجة الماسة إليه ومحاولة تفعيله ...

***